جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

تجليات ظاهرة الاغتراب في آليات التشكيل الروائي في رواية "هياء" للدكتورة زينب الخضيري

Manifestations of the phenomenon of alienation in the formation of the novelistic formation in the novel "Hava" by Dr. Zainab Al-Khudairi

إعداد

د/ نوير سعيد باجابر

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربية

الكلية الجامعية بالقنفذة، جامعة أم القرى

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثالث-أغسطس)

(الجزء الخامس (١٤٤٧هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/٦٢٧١م

تجليات ظاهرة الاغتراب في آليات التشكيل الروائي في رواية "هياء" للدكتورة زينب الخضيري

نوير سعيد باجابر

قسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بالقنفذة ، جامعة أم القرى

البريد الإلكتروني : nsbajaber@uqu.edu.sa

الملخص:

هذه الدراسة محاولة استكشافية لـ(تجليات ظاهرة الاغتراب في آليات التشكيل الروائي في رواية "هياء" للدكتورة زينب الخضيري) ترصد تجليات الظاهرة الفنية في آليات التشكيل في الرواية، وهي: الحدث، والشخصيات، والزمان، والمكان، والحوار، والوصف؛ إذ انعكست بجلاء في هذه الآليات المشكلة لبناء رواية هياء.

وجاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، تلتها خاتمة، متبوعة بقائمة المصادر والمراجع.

وقد اشتملت المقدمة على: نبذة عن ظاهرة الاغتراب وبواعثها وانتشارها في عالمنا المعاصر ومدى تغلغلها في الأعمال الأدبية، وخصوصًا الرواية، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

وتناول التمهيد: مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحًا.

وتناول المبحث الأول: تجليات ظاهرة الاغتراب في سرد أحداث الرواية.

وتناول المبحث الثاني: تجليات ظاهرة الاغتراب في شخصيات الرواية.

وتناول المبحث الثالث: تجليات ظاهرة الاغتراب في المكان والزمان.

وتناول المبحث الرابع: تجليات ظاهرة الاغتراب في تقنيات لغة الرواية.

وانتهت الدراسة بالخاتمة متضمنة أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة الاغتراب، آليات التشكيل الروائي، رواية "هياء، الدكتورة زينب الخضيري.

Manifestations of the phenomenon of alienation in the formation of the novelistic formation in the novel “Haya” by Dr. Zainab Al-Khudairi

Newer Saeed Bajaber
Department of Arabic Language, Al-Qunfudhah University College , Umm Al,Qura University

Email: *nsbajaber@uqu.edu.sa*

Abstract *:*

This study is an exploratory attempt to (Manifestations of the phenomenon of alienation in the formation of the novelistic formation in the novel “Haya” by Dr. Zainab Al-Khudairi) monitors the manifestations of the phenomenon in the literature of formation in the novel, which are: events, characters, time, place, dialogue, and description; as this problem was clearly reflected in the creation of the novel “Haya.”

Following the introduction, the study includes an introduction and several chapters, followed by a conclusion, followed by a list of sources and references. The introduction includes an overview of the phenomenon of alienation, its causes and prevalence in our contemporary world, and its influence on literary works, particularly the novel. It also includes the reasons for choosing the topic, previous studies, the study's questions, the research methodology, and the research plan.

The introduction addressed the concept of alienation in language and terminology.

The first section addressed the manifestations of the phenomenon of alienation in the narrative of the novel's events.

The second section addressed the manifestations of the phenomenon of alienation in the novel's characters.

The third section addressed the manifestations of the phenomenon of alienation in space and time.

The fourth section addressed the manifestations of the phenomenon of alienation in the language techniques of the novel.

The study concluded with a conclusion, including the most important findings and recommendations.

Keywords*: Phenomenon Of Alienation, The Formation of the Novelistic Formation, The Novel “Haya”, Dr. Zainab Al-Khudairi.*

مقدمة

يمر عالمنا بتناقضات صارخة، وتغيُّرٍ في القيم والأفكار، أدت بالإنسان إلى عدم القدرة على التأقلم مع عالمه الذي يعيش فيه، وهذا جعله يعيش حالة من الاغتراب الدائم: مع ذاته، ومع العالم المحيط به؛ مما رسخ في داخله شعورًا دائمًا بالضياع والحزن وعدم الانتماء، وبالرغم من أن هذه الظاهر جاءت قديمة منذ عرف الإنسان الحياة، فإنها قد أصبحت حالة شعورية يتسم بها عصرنا الذي نعيش فيه.

وظاهرة الاغتراب ظاهرة نفسية في المقام الأول؛ حيث يبرز إحساس الإنسان بها حسب الظروف المحيطة به وحسب حاجته للتغيير؛ لذلك ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم النفس بوصفها حقلاً مهمًّا من حقوله، ومع هذا الارتباط الوثيق بهذا العلم فإن ظاهرة الاغتراب اجتاحت العديد من الحقول المعرفية؛ نظرًا لارتباط هذه الظاهرة بالوجود الإنساني وحياة الإنسان وتحركاته في المجتمع، ومن هذه الحقول المعرفية التي غزتها ظاهرة الاغتراب: الفلسفة والأدب والاقتصاد وعلم الاجتماع... إلخ.

والفن الروائي بوصفه حقلاً أدبيًّا، ونشاطًا إنسانيًّا، اعتراه ما اعترى غيره من المجالات المعرفية والأنشطة الإنسانية، فسجلت ظاهرة الاغتراب حضورًا واسعًا في أعمال الروائيين العرب، والمتتبع لحركة الإبداع الروائي منذ نشأته في عالمنا العربي يسترعي نظره هذا الحضور المتعاظم للظاهرة من مرحلة إلى مرحلة، فكلما تقدم الزمان وتطور العصر وتغيرت الظروف كلما زاد بروزها وعلا صوتها في الأعمال الروائية، بل في شتى فنون الإبداع الأخرى؛ لأنه في التحليل الأخير، العمل الإبداعي – أيُّ عمل إبداعي كان – هو وليد بيئته، ونتاج عصره، وها نحن نعاين أنه كلما تقدم بنا الزمان تعقدت الحياة وكثرت المشاكل؛ نتيجة لسيطرة الفكر المادي، وكثرة الحروب والنزاعات حول العالم، والضغوط الاقتصادية، والتفكك المجتمعي، والانحلال الأخلاقي والقيمي، والبعد عن الدين، فهذا كله يؤثر على السلوك الإنساني وحركته في المجتمع؛ فيحمله ذلك على الاغتراب المادي والمعنوي..

وأكثر الناس إحساسًا بما يمر في المجتمع وتحولاته هم المبدعون، ومن ثَمَّ فهم أكثر الناس عرضة للاغتراب، وأقدر الناس على التعبير عنه بما يملكونه من إحساس مرهف وقدرة على تصريف الكلام.

وقد رصد الفن الروائي السعودي ما طرأ من التحولات والتطورات الواسعة على المجتمع السعودي؛ في محاولة منه لمعالجة القضايا التي تتصل بالمجتمع، ومنها الشعور الذي اعترى كثيرًا من أبناء المجتمع بالاغتراب، ومن هؤلاء الروائيين: الروائية زينب الخضيري، فقد رصدت في روايتها (هياء) جانبًا كبيرًا من هذه التحولات والتطورات، التي كانت سببًا في شيوع ظاهرة الاغتراب وباعثًا من بواعثها، ومظهرًا من مظاهرها التي شكلت حضورًا واسعًا في الرواية.

ولعلي لا أكون مبالغة إذا قلت: إننا نلمس هذا الحضور قبل الدخول إلى عالم الرواية، نلمسه بمجرد مطالعة عتبات الرواية، ففي الإهداء كتبت الخضيري: «إلى كل من يحس أنه مليء بالآثام.. ووحيد مثل أيّ إنسان مقهور، قد تكون الكلمات هنا، امرأة، رجلاً، أو طفلاً، قرية، أو روحًا مقهورة، هي الحياة باغترابها وفقدها.. وهي أكثر من ذلك»(١) .

وفي الغلاف الخلفي للرواية يوجد نص تقول فيه الروائية: «هكذا تمشي الأيام وتنقضي وأنا خاسرة.. أخسر كل شيء. هل حلت علينا أنا وعائلتي لعنةٌ واحدة.. أم لعنات؟!»(٢).

فبيّنٌ أنّ ظاهرة الاغتراب تحاصر رواية هياء، وسيتبين لنا في الصفحات التالية أن عالم الرواية من داخله يؤكد وبشكل صارخ سيطرة حالة الاغتراب على الرواية،

(١) زينب الخضيري: هياء، دار ورقاء للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤٤٣هـ-٢٠٢١م، ص:٥.
(٢) المصدر السابق، ص : ١٨٩.

فنجد الاغتراب باديًا في جنباتها ومكوناتها وآليات تشكيلها؛ في سرد أحداثها، في شخصياتها، في الزمان، في المكان، في اللغة بتقنياتها المختلفة: الوصف والحوار، وهكذا.

وهذه الدراسة محاولة استكشافية لـ(تجليات ظاهرة الاغتراب في آليات التشكيل الروائي في رواية "هياء" للدكتورة زينب الخضيري)، حيث ترصد تجليات الظاهرة في آليات التشكيل الفني في الرواية، وهي: الحدث، والشخصيات، والزمان، والمكان، والحوار، والوصف؛ إذ انعكست بجلاء في هذه الآليات المشكلة لبناء رواية هياء.

أسباب اختيار الموضوع:

- التعرف على تجليات الاغتراب في آليات تشكيل الرواية: سرد الأحداث، والشخصيات، والزمان والمكان، والتقنيات اللغوية.
- قلة الدراسات التي تناولت ظاهرة الاغتراب في الرواية السعودية.
- اختيار رواية (هياء) لكونها تطرح قضايا متصلة بالمجتمع السعودي، وتصور الصراع بين جيلين؛ الجيل القديم والجيل الحديث.
- تصوير الرواية للحضور اللافت لظاهرة الاغتراب؛ مما يمثل ظاهرة تستحق الدراسة.

الدراسات السابقة:

الدراسات حول الاغتراب في الأعمال الأدبية بعامة، والروائية بخاصة جاءت كثيرة، منها على سبيل المثال:

- صور الاغتراب في الشعر العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، للدكتورة عنود عبد الجبار العنزي، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، المجلد السادس، الإصدار السادس والستون، بتاريخ: ٥/ ١٠/ ٢٠٢٤م.

وقد ركزت الدراسة على ظاهرة الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، وبيان أنماط الاغتراب في القصيدة العربية من خلال بعض النصوص الشعرية.

- تجليات الاغتراب في الشخصية الروائية عند نجيب محفوظ،

رواية (اللص والكلاب) أنموذجًا، للدكتور محمد محمود عبد اللطيف عمران، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر، العدد السادس والثلاثون، الإصدار الأول، ٢٠٢٣م.

- الآليات الفنية لتوظيف ظاهرة الاغتراب في رواية "بوح الرَّجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي، للدكتور وليد بن خليفة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة – الجزائر، المجلد التاسع، العدد الخامس، ٢٠٢٠م.

تساؤلات الدراسة:

- ما العوامل التي أدت إلى انتشار ظاهرة الاغتراب في عالمنا المعاصر؟
- ما مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحًا؟
- ما تأثير ظاهرة الاغتراب في أحداث رواية "هياء"؟
- ما تأثيرها في شخصيات الرواية؟
- ما تأثيرها في الزمان والمكان؟
- ما تأثيرها في تقنيات لغة الرواية؟

منهج الدراسة:

تبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف الظاهرة، وتحليلها واستنتاج ما تفضي إليه من نتائج وتوجيهها في ظل ظاهرة الاغتراب في الرواية.

خطة الدراسة:

جاءت الدراسة بعد المقدمة في: تمهيد، وأربعة مباحث، تلتها خاتمة، متبوعة بقائمة المصادر والمراجع.

المقدمة، اشتملت على:

- نبذة عن ظاهرة الاغتراب وبواعثها وانتشارها في عالمنا المعاصر ومدى حضورها في الأعمال الأدبية، وخصوصًا الرواية.

- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- تساؤلات الدراسة.
- منهج البحث.
- خطة البحث.

التمهيد: تناول مفهوم الاغتراب لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: تناول تجليات ظاهرة الاغتراب في سرد أحداث الرواية.

المبحث الثاني: تناول تجليات ظاهرة الاغتراب في شخصيات الرواية.

المبحث الثالث: تناول تجليات ظاهرة الاغتراب في المكان والزمان.

المبحث الرابع: تناول تجليات ظاهرة الاغتراب في تقنيات لغة الرواية.

الخاتمة، تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

وأسأل الله التوفيق والسداد،

الباحثة

التمهيد

مفهوم الاغتراب

الاغتراب لغة:

الاغتراب والغربة من مادة (غرب)، عرفها ابن منظور في لسان العرب بقوله: «الغَرَبُ هو: الذهاب والتنحي، وقد غرب عنا، يغرب، غرباء، غرب، وغربه وأغربة»(١).

وورد في معجم مقاييس اللغة الغربة البعد عن الوطن: «غربت الدار، ومن هذا الباب غروب الشمس، كأنه بعدها عن وجه الأرض»(٢).

وفي مختار الصحاح: «الغربة: الاغتراب، نقول: تغرب اغترب بمعنى فهو غريب، والغرباء أيضًا الأباعد، واغترب إذا تزوج إلى غير أقاربه»(٣).

وترادف الغربة معنى العزلة، التي «تعني انفصال الإنسان عن مجتمعه وأسرته أو وطنه أو عالمه، أما الاغتراب فإنه أكثر ما يتجلى في الانفصال المعنوي الذاتي، فقد يكون الإنسان بين أهله وأفراد مجتمعه ولكن اعتزاله يتزايد حدة كلما أحس بعدم الانتماء فينجر إلى التخلي والتمرد»(٤).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مج ١١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ٢٣.

(٢) يراجع: ابن فارس، زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ج٤ ص ٤٢١.

(٣) الرازي،محمدبن أبي بكر: مختار الصحاح، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، ط٤، ١٩٩٠م، ص٢٠٣.

(٤) عبده بدوي: الغربة والاغتراب والشعر، دار قباء الطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٨م، ٩.

ومعنى هذا أن الاغتراب في اللغة يدور حول معاني:

الارتحال وترك الوطن إلى بلد آخر، والانزواء والاختفاء، والابتعاد المكاني بشكل كبير، والابتعاد عن الأهل وذوي القربى، والشعور بالغربة.

ويفهم من المعاني اللغوية أن الاغتراب يقع بإرادة المغترب، ومن دون إرادته، أي: يجبر عليه.

والمعاني اللغوية للاغتراب وثيقة الصلة بمفهوم الاغتراب بوصفه مصطلحًا حديثًا استقر في الدراسات النفسية والاجتماعية والأدبية.

الاغتراب اصطلاحاً:

يعرف خيري حافظ الاغتراب بأنه «وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق وما يصاحب ذلك من سلوك، أو الشعور بفقدان المعنى أو اللامبالاة»(١).

ويعرف بأنه «شعور متأزم مصاحب بالقلق والحزن، وهو لا ينتاب المرء من حين لآخر، وإنما هو حالة مصاحبة له باستمرار تزداد قوة أو ضعفًا في بعض الأحيان، ولكنها حالة لا تفارقه، وهكذا يحس الفرد بالانفصال عن الواقع والذات، فتحدث ثورة داخلية تدفعه إلى الرفض والتمرد»(٢).

---

(١) أحمد خيري حافظ: سيكولوجية الاغتراب لدى طلاب الجامعة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، رسالة دكتوراة، القاهرة، مصر، ص ٣٨.

(٢) محمد الهادي بو طارن: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د. ط، ٢٠١٠م، ص٤٧.

والاغتراب نوعان:

الأول- الاغتراب الذاتي، وذلك حين يغترب الشخص عن ذاته، فيعيش حيران متردداً، لا يعرف نفسه، ولا يقدرها، ولا يهتدي طريقه، قد يكون ذلك بفعل عوامل خارجية يستسلم لها الشخص ولا يقاومها، فيعيش سليب الإرادة، ومن ثم، يعاني اغترابًا بينه وبين ذاته.

والثاني- الاغتراب المجتمعي، وهذا الاغتراب إما مادي، ويحصل عندما يفارق الإنسان مجتمعه ووطنه اللذين يعيش فيهما إلى مجتمع ووطن آخرين، فيحس بالاغتراب إما لاختلاف عادات المجتمع الجديد وتقاليده عن عادات مجتمعه وتقاليده، وإما لأنه غادره وطنه في الأصل، فترك الأوطان وهجرانها له وقعه الأليم على نفس الإنسان.

وإما أن يكون الاغتراب معنويًا، فيعيش الإنسان بين أهل وطنه وناس مجتمعه، لكن يحصل له نفور من أخلاقيات أفراد هذه المجتمع وسلوكياتهم، أو توجد في هذه المجتمع أنواع من الضغوط السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية والثقافية، تحمل الشخص على الاغتراب.

المبحث الأول

تجليات الاغتراب في أحداث الرواية

الحدث هو: سلسلة الحوادث في قصة أو مسرحية كانت أو ملحمة أو رواية يرتبط بعضها ببعض بروابط السببية في سبيل تكوين حبكة، لها بداية وتطور ونهاية.

والأحداث في الرواية هي: «العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية»(١)؛ فهي التي تساعد على «تنمية الموضوعات، وتحريك الشخصية، وتبعث النشاط في الأزمنة، وتحيي الأمكنة؛ مما يؤدي إلى سرد متجدد في العمل الفني»(٢).

ويظهر في رواية "هياء" تسلسل الأحداث متتالية، ففي زيارة والد شيخة لابنته نورة في مدينة الطائف ومعه شيخة وزوجته لولوة، بدأت الأحداث بركوب السيارة مع (عبد العزيز) والحوار الذى دار بينهما حتى وصولهم إلى مدينة الطائف، ودهشت شيخة من حجم البيوت والشوارع المعبدة وجمال الطائف والأشجار الخضراء، ثم وصفت استقبال نورة لهم بكل بشاشة ورحابة صدر، ثم تتابع الرواية سرد الأحداث وتلك الجولات على أسواق ومحلات الطائف، وما بين الفرح وكرم الاستقبال، إلاّ أن خوف نورة وشغلها الشاغل على مستقبل شيخة، ويظهر ذلك من وصيتها لـ(لولوة) بقولها: «كنت شغل نورة الشاغل وكل يوم تُكرّر وصيتها للولوة بي، وتؤكد عليها أن تعتني بي وبوالدي جيدًا»(٣).

---

(١) آمنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ط٢. ٢٠١٥م، ص ٣٧.

(٢) شواخ، فراس أحمد، البناء الفني، الرواية الاماراتية «رواية من أي شيء حلفت» للروائية: ميثاء المهيري نموذجا، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، جامعة النيلين، السودان، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص٢١.

(٣) رواية "هياء"، ص ٦٢.

ثم تتابعت الأحداث في ذهاب شيخة ووالدها ولولوة إلى أداء العمرة ثم رجوعهم إلى منزل نورة، ثم بدأت الأعراض الصحية تظهر على نورة؛ مما جعل الجميع يعيش حالة الخوف والقلق، البكاء والصمت.

حتى وصل الطبيب وكان الأمل في خروجها من هذه الحالة، والاطمئنان على صحتها، إلاّ أنه وبعد محاولات عدة فارقت الحياة.

تصف شيخة هذه الأحداث بقولها: «وقبيل الغروب، وكحمامة كفت عن الطيران، فارقت روحها الطاهرة جسدها المتعب هي وجنينها الذي لم يرَ النور!»[١].

بدأ الحزن يحيط بالمكان، والجميع بين صراخ وبكاء، حزن وألم.

تقول شيخة «أحسست أن بداخلي شعورًا يتثاقل يجذبني نحو الأرض بقوة، وكل الأشياء حولي تتحرك، وتزيد سرعتها، أهوي بتثاقل وخطاي جامدة، مؤلم أن تفقد ذاتك في الوقت الذي تحتاجها فيه، وبشدة ولا شيء حولي»[٢].

وتصور هياء حالة الحزن التي تعيشها والدتها والدموع وهي تحكي هذه المشاهد وكأنها حاضرة في هذه اللحظة.

ثم تتابع الأحداث وتعود شيخة مع والدها للقربة، وتبدأ أحداث خطبة (عبد العزيز) و(شيخة) والدة هياء، وكيف تمت مراسم الفرح، ثم رزقا بـ (هياء) وبعد الثالثة من عمرها ينتقل والدها إلى جوار ربه لتبقى (هياء) يتيمة وتعيش تجربة اليتم.

تقول شيخة واصفة هذه التجربة بقولها: «وعادت إليّ أيام الحزن والوجوم، والحياة الآن باتت أصعب جدًّا»[٣].

---

(٢) رواية "هياء"، ص ٦٤.

(٢) رواية "هياء"، الصفحة نفسها.

(١) رواية "هياء"، ص ٦٧.

يستولي على سرد الأحداث حالات من الاغتراب متتابعة، مادية بالانتقال من الوطن إلى مكان آخر، ومعنوية ناشئة عن الخوف على حبيب مفارق، أو حالات القلق على مريض يرجى برؤه.

وفي حدث متتابع تصور الخضيري أثره الكبير في حصول حالة من الاغتراب في شخصية هياء، وهو مرض صديقتها الوحيدة (منيرة)، وبدأ الحدث باتصال منيرة على هياء لتطلب مقابلتها في أقرب فرصة، ثم سردت الخضيري حدث لقاء هياء بمنيرة بشكل سريع، بعدها غابت هياء عن منيرة أسبوعًا؛ لتفاجأ بخبر وفاتها في هذا الأسبوع بعد أن قام طليقها بإحراق منزل والدها الذي كانت فيه هي وأطفالها الذين احترقوا معها، هذه الحادثة أدخلت هياء في حالة اغتراب صارخة، فانغلقت على ذاتها، وفقدت الثقة فيمن حولها، وتعبر هياء عن هذه الحالة فتقول تخاطب صديقتها الراحلة: «اليوم حزني أعجمي لا يقبل الترجمة، كنت أبحث فيكِ عن وطن، وعن نفسي الضائعة»(١).

ولننظر إلى تعبيرها «اليوم حزني أعجمي لا يقبل الترجمة» إنه تعبير عن حالة من الاغتراب الحاد، وهو اغتراب ملازم يدل عليه تعبيرها عن نفسها بأنها نفس ضائعة، وكانت تأمل الخروج من اغترابها بوجود صديقتها منيرة، لكنها رحلت عن الدنيا؛ فزادت حدة الاغتراب.

ومن صور الاغتراب الاجتماعي التي سردتها أحداث القصة، قصة معاناة جمال في طفولته، فالأحداث – هنا – تعرض لقضية "البدون" الذي لا يحمل جنسية بلده على الرغم من كون والده من هذا البلد، وقضية التنمر المدرسي الذي جعل جمال طفلاً مغتربًا في وطنه بسبب أن أمه أجنبية.

---

(٢) رواية "هياء"، ص :١٣١.

يقول جمال معبرًا عن اغترابه: «في صغري لم يتقبلني زملائي في المدرسة بسبب لهجتي المختلفة قليلاً عنهم، وكانوا يسخرون حتى من اسمي (جمال)، ورغم أنني ابن جلدتهم إلا أنهم لم يتقبلوني، ولم يصدقوني، وبقيت ذلك الأجنبي الغريب عنهم، وكان بعض المدرسين قساة معي...»[١].

إن النص ليكشف عن حالة اغتراب نفسي اجتماعي، ناشئة عن مجرد اختلاف اللهجة؛ لأن الأم أجنبية، أدت إلى التنمر بطفل من قبل زملائه وأساتذته، أوجدت عند الطفل جمال حالة اغتراب صعبة.

إن متتبع أحداث الرواية يرصد مظاهر متعددة للاغتراب انعكست فيها، برزت من خلال سرد هذه الأحداث.

(١) رواية "هياء"، ص :٢٣.

المبحث الثاني

تجليات ظاهرة الاغتراب في شخصيات الرواية

انعكست ظاهرة الاغتراب في الشخصيات بجميع أبعادها النفسية والاجتماعية والمادية؛ فتظهر الحالة النفسية للشخصية من خلال المواقف المحيطة بها وكيف أثر الاغتراب على الشخصية من خلال تلك المواقف، فالكاتب «يقوم بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطباع وسلوكها ومواقفها من القضايا المحيطة بها»(١).

وصورت الروائية زينب الخضيري الجانب النفسي لبطلة الرواية (هياء) وشعورها بالضياع والوحدة؛ نتيجة فقدها للجو الأسري؛ مما سبب لها شعورًا بصعوبة الحياة، ورغبتها في الهروب من الواقع، تقول هياء مصورة فقدها لوالدتها: «لا شك فقدها حمل ثقيل جدًّا أرهقني؛ حتى أدى بي إلى الهروب من الواقع، وكأن حياتي لم يبق منها إلا قشعريرة ومرارة يجب أن أبتلعها مثل الدواء يوميًّا»(٢).

وعلى الجانب الآخر تصور معالم الحالة النفسية التي مر بها جمال منذ ماضيه وطفولته، فقد شعر بعدم القبول من زملائه ومعاملته معاملة الغريب عنهم.

يقول جمال مصورًا ذلك: «في صغري لم يتقبلني زملائي في المدرسة بسبب لهجتي المختلفة قليلا عنهم، وكانوا يسخرون حتى من اسمي (جمال)، ورغم أنني ابن جلدتهم إلا أنهم لم يتقبلوني ولم يصدقوني، وبقيت ذلك الأجنبي الغريب عنهم، وكان بعض المدرسين قساة معي، فلم يرحموا قلة حيلة ولا يتمي ولا فقري»(٣).

---

(١) شريبط، أحمد، تطور البيئة الفنية في القصة الجزائرية، دار القصبة للنشر ، د–ط ،٢٠٠٩ ، ص: ٤٨.

(٣) رواية "هياء"، ص٨٢.

(٣) رواية "هياء"، ص٢٣.

ويقول: «ولم أستطع أخبارهم ألا أحد لي في بلدي وبلد والدي غير جدتي المقيمة»(١).

كل هذه العوامل المحيطة به منذ طفولته حتى الالتحاق بالمدرسة أثرت على شخصيته؛ حيث أصبح يحب الوحدة والبعد عن المجتمع الذي لم يتقبله منذ طفولته، ويصور أثر الشعور بهذا الاغتراب في مستقبله، يقول: «ولكني لا زلت أتجرع مصيبة الحرمان، وطفولتي شاهد حي في ذاكرتي»(٢).

إحساس جمال بالاغتراب المكاني والنفسي جعلت من شخصيته شخصية أحادية يحب الوحدة، فـ«طفولة جمال الصعبة جعلت منه إنسانًا أحاديًا وحادًا وقاسيًا»(٣).

ولعل الظروف التي عاش فيها جمال جعلت منه على الجانب الآخر شابًا طموحًا يتحدى الصعاب، ويتغلب على الظروف القاسية وعلى فقره، ويحاول جاهدًا الحصول على فرصة عمل؛ فـ«قد قاده إصراره وجده وعناده إلى الالتحاق بجامعة في أمريكا جامعة نيويورك، إن طموح جمال لا ينتهي ولن ينتهي حتى يعوض جدته أمينة عن كل ما قاسته من أجله، ويثبت لنفسه أنه ليس بحاجة إلى أحد»(٤).

وبالرغم من شعوره بذاته في نيويورك والهدوء النفسي ، إلا أن اختلاف الثقافات جعله يعقد المقارنة والموازنة بين الشرق والغرب من جهة، وشعوره بالحنين إلى بلده وجدته من جهة أخرى.

---

(١) رواية "هياء"، ص٢٣.

(٢) رواية "هياء"، ص٩

(٣) رواية "هياء"، ص١١٩.

(٤) رواية "هياء"، ص١١.

يقول: «عندما أسير في الشوارع تستلمني المفارقات والموازنة بين الشرق والغرب، ويجتاحني أحيانًا حب خارق إلى غرفتي المتقشفة الشبيهة بغرفة زاهد أو ناسك وقهوة جدتي وخبزها وصوت جارتنا صالحة، أفتقد حياتي هناك فعلاً»(١).

ويكشف جمال من خلال هذا النص أن الاغتراب المكاني عن وطنه انعكس في وجدانه، فهو يشعر باغتراب نفسي ناشئ عن اغترابه المكاني، وهذا الاغتراب النفسي هو الذي جعله يشعر بالحنين إلى غرفته المتواضعة، وقهوة جدته، هذا بالبرغم من أن المكان الذي انتقل إليه هو أمريكا، بلد التقدم والتكنولوجيا والرفاهية والمدنية.

وتزداد حالة جمال سوءًا عندما علم بوجود أخت له من والده لم يستطع تقبلها، فهو يحاول الفرار من ذكريات الماضي، إن صورة هياء تذكر جمال بذلك الماضي الأليم وتذكره بوالده الذي تركه جنينًا ولم يسأل عنه.

يقول جمال لهياء: «لا أستطيع تقبلك في حياتي، في الحقيقة أنا أكرهك مثل كرهي لأبي الذي تركني ورحل ليعيش حياته الأخرى»(٢).

وصورت الكاتبة المشاعر النفسية لشخصية (شيخة) والدتها، فقد عاشت مشاعر اليتم، وتصور قسوة هذا الشعور في قولها لابنتها هياء: «حرصت ألا تشعري باليتم مثلي»(٣). وقولها: «وكنت أتمنى ألّا تجرب اليتم مثلي»(٤).

وبالرغم من الحنان والعطف الذي كان يحيط بهياء من والدتها إلا أن الإحساس بالفقد كان مؤلمًا. تقول: «أحس بك يا أمي وأشعر باليتم مثلك، مع أنك حاولت

(١) رواية "هياء"، ص٥٢

(٢) رواية "هياء"، ص١٨٧.

(٣) رواية "هياء"، ص٦٩.

(٤) المصدر نفسه

تعويضك عن وجود الأب في حياتي، إلا أنني ما أزال أرى في كل رجل يمر من أمامي صورة الأب الذي لم يكن في حياتي»[١].

وتشبه هياء أمها بالموج الذي يمتد فيغرقها بالحب والحنان وتصور شدة حزنها على فراقها وفقدها ولسان حالها يقول: «كيف لها أن تتركني باكرًا للغياب والألم بلا وداع وبلا قبل وبلا دعوات؟! تلك الدعوات التي كانت تسمعها هياء كانت الأمان والهدوء التي الذي يحيط بها، وجود أمها سر سعادتها وتمسكها بالحياة»[٢].

وفي موضع آخر تصور هياء معاناة (منيرة) وغربتها مع زوجها وأثر هذا الزواج به، والتعايش مع مرضه النفسي جعلتها تعيش حالة من الخوف على أطفالها من جهة، ومواجهة العالم مع هذا الزوج من جهة أخرى، والخوف على حياتها من جهة ثالثة.

تصور الكاتبة الغربة التي تعيشها منيرة كنموذج لمعاناة المرأة مع الزوج الذي يعاني من حالة انفصام تهدد حياته وحياة أولاده من حوله، ونظرة المجتمع لمثل هذا المرض، تسرد (منيرة) محاولة التعايش معه من أجل أولادها، ومحاولة البحث عن طريقة علاجه لتحافظ على كيان أسرتها، وصبرها وشدة تحملها لما تجده من زوجها من صراخ وتهديد وعدم تقبله لواقعه، وفي الأخير حرقه للخزانة الذي أدى إلى حرق جزء من المنزل، فقررت اللجوء للحل الأخير حفاظًا على نفسها وأولادها.

تقول منيرة: «وبعد هذه الحادثة ازداد خوفي منه على أطفالي مع شفقتي عليه يا هياء، ولكنه لم يترك لي مجالاً، وكلما رأيته أمامي أو سمعت صوته يعتصرني

---

(١) المصدر تقسه.

(٢) المصدر نفسه

الألم، فأحس بأنني قليلة الحيلة، أحيانًا أرغب أن أرتمي بحضن أي شخص من حولي وأحدثه عن كل مخاوفي وجزعي!»[١].

(١) رواية "هياء": ص ١٠٥.

المبحث الثالث

تجليات ظاهرة الاغتراب في المكان والزمان:

انعكس الإحساس بالاغتراب في مكان الأحداث وزمانها، فتلونا بلونه، متمثلاً ذلك في القلق والشك والشعور بالخوف والحيرة والضيق، وغير ذلك، حيث " يمثل الاغتراب المكاني والزماني عنصرًا مهمًا من عناصر الوقوف في وجه تشكيل الشخصية، فإن الصراع الداخلي الذي ينشأ داخل نفس الانسان تقوده دون شك الى ضياع نفسي وصراع مع الهوية، الأمر الذي قد يؤدي به إلى العزلة الاجتماعية ..."[١].

أولاً- تجليات الاغتراب في المكان الروائي:

يعد المكان عنصرًا أساسيًّا في بناء الرواية، فلا توجد رواية بدون مكان وقعت فيه الأحداث، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، أو «هو الموضع الذي تدور فيه أحداث الرواية، وفيه تتحرك الشخصيات، يستند على اللغة الواصفة، التي تنقل المكان من الجمود الى الحركة، أو يمتزج فيه الواقع مع الخيال»[٢].

وقد تلون المكان بمظاهر الاغتراب في رواية هياء، فمثلاً تصف هياء بيتها الجديد الذي انتقلت إليه فتقول: «كان عمر المنزل قرابة الخمس سنوات وأنيقًا رغم وضوح نمطه التجاري غير المتكلف في البناء أو التصميم، وصغير الحجم نسبيًّا يكفيني جدًّا وزيادة، ودفعت فيه ما أملكه من نصيبي من ورث أمي وبعض القروض من البنك. يقع المنزل من الجهة الشرقية من الحي وعلى شارع صغير عرضه ١٥

---

(١) أحمد خيري حافظ: سيكولوجية الاغتراب، ص٥٣.

(٢) باشلار، غاستون، جماليات المكان، ت: غالبا هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٣١.

مترًا، ويبدو بالمقارنة بالقصور والبيوت الكبيرة من مناطق مجاورة كعلبة كبريت! في واجهته نافذتان تبدوان في المساء كعينين حزينتين...، أما لونه فأبيض باهت مائل للبيج، ويشبه تصميمه معظم المنازل الحديثة»(١).

انعكس الاغتراب النفسي الذي تعانيه هياء على المكان الذي انتقلت لتعيش فيه، فعلى الرغم من وصفها له بالأناقة وعدم التكلف فإنها وصفته أيضًا بالصغر، ونوافذه حزينة، ولونه الأبيض باهت؛ إنه الإحساس النفسي المنعكس من المكان، وخصوصًا وصفها لنافذتي الواجهة بالحزن: «في واجهته نافذتان تبدوان في المساء كعينين حزينتين».

وتلون المكان الذي يعيش فيه جمال بحالة الاغتراب التي يعيشها، فتقول الخضيري: «في الواقع هو يلعن حياته دائمًا، ويعتبر نفسه سيء الحظ، ويهتم بجدته لكن بصمت، حياتهما غريبة بعض الشيء؛ حيث يعيشان في شقة صغيرة متواضعة في مبنى شعبي قديم، وغربة جمال التي احتوت يتمه وبؤسه وفقره هي مكانه الدائم إذا لم يخرج منه»(٢).

فالاغتراب المادي يبدو متجليًّا في تواضع المنزل الذي يعيش فيه جمال، فهو عبارة عن مكان صغير بسيط شعبي قديم، وهذا مظهر من مظاهر الفقر، والاغتراب النفسي الذي تعددت مظاهره في المكان فأصبح شاهدًا على يتم جمال وبؤسه وفقره.

وانعكس الاغتراب الذاتي الذي تعانيه هياء في مكان عملها المدرسة، فصورت المكان بصورة سلبية وذلك في قولها: «تسللت من فراشي بانزعاج وتثاقل وأنا متعبة، وقررت على غير عادتي ألا أذهب للمدرسة، وأن أقضي فترة الصباح مع أمي،

(١) رواية "هياء"، ص : ١١٩.

(٢) رواية "هياء"، ص: ١٣٠.

وشعرت بالارتياح لهذه الفكرة، وكأنني تخلصت من حملٍ ثقيل، أعتقد أن سر كآبتي هو عملي، أحس بوحشة هناك في المدرسة، أضيق بساعات الدوام، ولا أطيق الحديث مع أحد، يا لشقاوتي وبؤسي ليتني أوفق بعمل آخر بعيدًا عن هذه البيئة الموبوءة»[١].

لقد بدا المكان (المدرسة) مكانًا مغتربًا، فقد تجلل بمظاهر الاغتراب، فهو مكان موحش وبيئة موبوءة، ثقيل على النفس، يبعث على الكآبة، وكل هذه المظاهر السلبية التي تبدت في المكان ليس إلا المشاعر السلبية التي تعانيها هياء، والتي تصور حالة الاغتراب الدائمة التي تعيشها.

وتجلت ظاهرة الاغتراب في مدينة الرياض على أثر ما لحقها من تغير، فبعد عودة جمال من أمريكا، دار هذا الحديث بينه وبين سائق التاكسي الذي ركب معه متوجهًا إلى منزله:

«- هل هذه أول مرة تزور فيها الرياض؟

- لا، ولكن لي أربع سنوات غائب عنها.

- البلد تغيرت، الغلاء في كل مكان، والخدمات تدنى مستواها، والازدحام بات لا يطاق»[٢].

فعبر سائق التاكسي عن شعوره بالاغتراب من خلال عرضه للمظاهر السلبية التي تجللت بها مدينة الرياض بعد أن طرأ عليها من تغير وما لحقها من تطور، من غلاء المعيشة، وتدني الخدمات، وازدحام الشوارع.

---

(١) رواية "هياء"، ص ٢٩.

(٢) رواية "هياء"، ص ١١٢.

وانعكست شخصية هياء المغتربة في مدينة الرياض، عبرت هياء عن ذلك بقولها: «الانتقال من الأحياء القديمة للأحياء الجديدة في شمال مدينة ضخمة كالرياض – تندر فيها المعالم الجمالية – ليس أمرًا هينًا نفسيًّا ولا ماديًّا»(١).

وتقول في موضع آخر: «هذه المدينة الضخمة القاسية الملامح»(٢).

فانعكست نفسية هياء المغتربة في مدينة الرياض، فتحولت هي أيضًا إلى حالة من الاغتراب المادي والمعنوي؛ فانزوى عنها الجمال، وبدت مدينة قاسية الملامح، لقد شخصت الروائية المدينة، فبدت في صورة إنسان قبيح قاسٍ، وهذا كله بفعل ما تعانيه هياء من اغتراب حادّ؛ نتيجة فقدان أحبتها، وتصادمها مع المجتمع الذي تعيش فيه.

ثانياً ـ تجليات الاغتراب في الزمان:

يقصد بالزمان في العمل الروائي الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلية، ويتأثر الزمان بالعناصر الأخرى المكان والشخصيات والأحداث، ويؤثر فيها «وينعكس عليها، فالزمان حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى»(٣). وتبرز عبد الملك مرتاض أهمية الزمن في كونه يمثل "وجودنا نفسه، هو إثبات لهذا الوجود أولا ... فالوجود هو الزمن الذي يخامرنا ليلًا ونهارًا، ومقامًا وتظعانًا، وصبًا وشيخوخة، دون أن يغادرنا لحظة"(٤).

---

(١) رواية "هياء"، ص ١١٧.

(٢) رواية "هياء"، ص ١٢٠.

(٣) سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للنشر والطباعة، بيروت ط،١، ١٩٨٥، ص ٣٨.

(٤) عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، شعبان ١٩٩٠، ص١٧١.

والخضيري تحكي أحداث وقعت في الماضي وأثرت على الشخصية، فهذه هياء وهي تتذكر ماضي والدتها (الشيخة) والحنين لها تقول: «أتأمل الآن ركنها المفضل، وسجادة الصلاة التي كانت تجلس عليها دائمًا»(١).

ونستشف من وراء حنين هياء إلى الماضي اغترابًا تعانيه في الحاضر، منشؤه وفاة أمها، وقد أسفرت عن هذا عندما قالت: «أحتاج لحضن أمي»، «الشوق مثل عقرب الرمل تقرص ما تنشاف»، «يجيش في صدري حنان مكبوت...! آه كلما تذكرت أمي»(٢).

لقد انعكس الماضي في الحاضر، فذكريات الماضي لونت الحاضر بحالة من الاغتراب المتمثل في الشوق والألم والحزن.

وتصف هياء المساء، فتقول: «مسائي ينساب بهدوء كأفعى، وصوت داخلي يلوكني هو الآخر، وذرات من ملح الألم عالقة على شفاهي، لا تطرق ذهني فكرة الزواج أبدًا»(٣).

لقد تلون الزمان بحالة الاغتراب التي تعانيها هياء، فصورت المساء بأفعى، ومع إقباله تنتابها هواجس داخلية، وآلام تعانيها مكبوتة لا تملك البوح بها، وكل هذا يشف عن حالة الاغتراب التي ترزح هياء تحت وطأتها، ثم إن المساء على إطلاقه مرتبط عند الشعراء والأدباء بالشعور بالوحشة والغربة، فاختيارها هذا الوقت يؤكد على ما تعانيه من اغتراب.

---

(١) رواية "هياء"، ص ٨.

(٢) رواية "هياء"، ص ٥ .

(٣) رواية "هياء"، ص: ٣٩ .

بل إن الكاتبة لتؤكد على أن الزمان من أوله إلى آخره الذي يمثل حياة الإنسان فيه ما هو إلا رحلة اغتراب دائمة، ففي الحوار الذي دار بين هياء وأمها.

تقول الأم: «الحياة يا ابنتي تغرقنا بآمال زائفة!»(١).

وقاطعتها هياء قائلة: «كلنا يا أمي جملة من كل قصة في هذا العالم، أقدارنا مكتوبة، بشرٌ لا نتكرر، إما أن نكون ومضة ألم، أو ومضة بصيرة، لكن من عساه يفهم نفسه أو واقعه»(٢).

فهذا الحوار يكشف عن أن حياة الإنسان (زمانه) ما هو إلا رحلة اغتراب ممتدة، وهذا الاغتراب صبغ الزمان بصبغته، وقد كشف هذا عن اغتراب هياء وأمها.

ووالدة هياء تُحمِّلُ الزمان ما تعانيه من مظاهر اغتراب، فتقول مصورة معاناته لفقدها أختها نورة التي تزوجت من تاجر اسمه حسن يشتغل بتجارة الأقمشة، ورحلت معه إلى غرب المملكة في مدينة الطائف ولم تزرهم بعد زواجها إلا مرة واحدة. تقول: «لم أستطع تحمل قدري، وأصبحت أشك في كل شيء حولي، كنت لا أصلي، ولا أريد أن أصلي، مع أنني بدأت أدرِّس بنات الجيران الكتابة وأحفظهن بعض السور القرآنية والأحاديث، إلا أنني أحمل بداخلي غضبًا كبيرًا على الحياة، كيف أعيش بلا أم، ولا أجد صدرًا حنونًا يحتويني؟ أين الرحمة التي يتحدثون عنها عن طفلة نشأت يتيمة بلا رعاية بعد زواج أختيها المراهقتين وانشغالهما بحياتهما؟! كان هناك صوت داخلي يحثني على رفض كل شيء حولي بما في ذلك والدي، خاصة إذا تذكرت إحساس الخديعة؛ لأنه تزوج بعد وفاة أمي بأسبوعين»(٣).

---

(١) رواية "هياء"، ص ٤١.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) رواية "هياء"، ص ٤٢ .

تصب والدة هياء جام غضبها على الحياة، وتحملها كل ما تعانيه من مظاهر اغتراب، هذا الاغتراب الناشئ عن وفاة والدتها وزواج والدها بعد وفاتها بأسبوعين، والذي تبدت مظاهره في الاعتراض على القدر، والشك في كل من حولها، وترك الصلاة، والرفض لكل ما حولها، وهذا يمثل الاغتراب في أعلى درجاته، وكل هذه المظاهر تردها هياء لفعل الزمن، وهذا يعني تحول الزمان لفاعل في حياة الإنسان، وأنه ذو سطوة وتحكم فيه، ولا يمثل عنصرًا ساكنًا، وليس الأمر كذلك، فالذي يوجه حركة الإنسان في الحياة خالقه سبحانه وتعالى في الأمور التي لا اختيار له فيها، والذي يوجه حركته في الأمور الاختيارية فهو الإنسان نفسه؛ لذلك وجب التنبيه؛ لأن ما ساقته الكاتبة على لسان هياء ظلم للزمان، فلا دخل للزمان فيما يعانيه من مظاهر اغتراب.

وهكذا، كان للاغتراب انعكاساته في الزمان في رواية هياء.

المبحث الرابع

تجليات ظاهرة الاغتراب في لغة الرواية

أولاً- تجليات الاغتراب في الحوار:

يظهر الحوار بين الشخصيات في مواضع عدة من الرواية، حوار هياء مع والدتها، وحوار الشيخة مع زوجة أبيها (لولوة) ومع ابنتها هياء تسرد قصصها القديمة وذكرياتها الحزينة، وحوار هياء مع صديقتها منيرة تحكي معاناة تجربتها مع زوجها عبد المجيد ومحاولاتها لعلاجه والحفاظ على كيان أسرتها إلاّ أن جميع محاولاتها باءت بالفشل. فهي تحكى اغترابها مع البدايات والنهايات، وتسرد ثنائيات الربح والخسران، الفرح والحزن. ولعل الحزن كان مسيطرًا على نفسية منيرة الذي كان ظاهراً من خلال حوارها مع (هياء) وما ترتب عليها من أثار الحزن التي ظهرت على نفسها وأولادها.

يظهر في «أمنيات صغيرة» الاستقرار النفسي والعيش بعيدًا عن ذكريات الماضي الأليم وتسلسل الحوار بين هياء ومنيرة بعد غربة عشرة أشهر، وقد تغيرت حياتهما ووصفتها هياء بأنها هي غير مستقرة فقد قررت (هياء) العيش بعيدًا عن أجواء القلق والخوف فقد سكنت في شمال المدينة حيث الهدوء والطمأنينة، أما (منيرة) افتتحت مقهى جميل.

تقول هياء: « في اليوم التالي ذهبت؛ لألتقيها في مقهاها الجميل (مقهى ورد)، وعندما دلفتُ إلى داخل المقهى وجدتها تنتظرني، فتحت يديها قائلة: افتقدتك هياء.. عانقتني على عجل، وأمسكت بيدي، وسحبتني مكتبها الداخلي»[1].

(١) رواية "هياء"، ص١٢٠.

ثم قالت منيرة: «من رحمة رب العباد أنه يرتب أقدارنا وكلما بعثرتنا الحياة جمعتنا من جديد، وقراراتنا التي نتصور بأنها خاطئة، يتضح لنا مع الزمن أنها صائبة. صحيح الحياة تكبد لنا في كثيرا من الأحيان. الحقيقة الوحيدة في حياتي هما (ياسر ولين) اكتملت أمومتي بهما، كنت أحارب طواحين الحياة من أجلهما»(١).

قالت هياء – ما الذي تحاولين الوصول إليه يا منيرة، وما سبب كل هذا الكلام؟»(٢).

شعرت (هياء) من اتصال منيرة، وعباراتها المشحونة بالحزن جعلتها تطرح تساؤلاتها وشكوكها التي تبعث على القلق، بعد عبارات منيرة عن تجربتها وما تحمله في نفسها من مشاعر ألم وحزن وكلمات تحكي همومها وشريط حياتها وزوجها الذي كان سبب في هذا الألم. إلا أن الحزن ظهر جليًّا في وجه منيرة «وبشكل مفاجئ أجهشت منيرة بالبكاء، حينها شعرت هياء بأن هنالك سرًّا ما. فسألتها: ما سبب هذا البكاء النشيج؟»(٣).

إلى أن أفصحت منيرة عن مرضها، والحالة النفسية، وخوفها على نفسها خوفها على نفسها وخوفها من يتم أولادها.

ولكن لم ينه المرض حياتها، ولكن زوجها أحرق المنزل التي تسكنه منيرة وأولادها، فرحلوا جميعًا.

لقد كشف الحوار الذي دار بين هياء ومنيرة عن الاغتراب الذي تعانيه منيرة، وأسبابه، ومظاهره، فأسبابه راجعة إلى حالة زوجها الصحية؛ إذ يعاني مرضًا نفسيًّا؛

---

(١) رواية "هياء"، ص:١٢٠ .

(٢) رواية "هياء"، ص:١٢٠ .

(٣) رواية "هياء"، ص١٢٢.

مما يمثل خطورة على حياتها وحياة أولادها، وهذا سبب لها قلقًا وخوفًا دائمًا جعلاها تعاني اغترابًا مستمرًا، يكشف عن معاناة أليمة.

ومن الحوار الذي يكشف عن الاغتراب في أعمق حالاته، الحوار الداخلي، من ذلك حوار جمال مع نفسه الذي يعكس اغترابًا عميقًا يعيشه.

يقول جمال: «أنا رجل بائس وسيئ ومتطلب جدًّا، ولا أكتفي أبدًا من كل شيء، أحس أن لديّ أحقية في كل شيء في هذه الحياة الذي سلبتني كل طفولتي، ولم تسمح لي بأن أكون إنسانًا عاديًّا.

أنا مشتت متناقض، هناك بعض الجروح لا يستطيع الزمن مداواتها، ستبقى معي للأبد»[1].

إن هذا الحوار يعكس صراعه الداخلي مع نفسه، وعما بداخله من مشاعر متناقضة، ويوضح الحالة النفسية المغتربة دومًا لشخصية جمال.

ثانيًا- تجليات الاغتراب في الوصف:

يظهر الوصف في رواية هياء في وصف الأحداث والشخصيات والأمكنة والأزمنة، ومن خلال وكل ما يحيط بهما.

تصف والدة هياء زوجة أبيها لولوة وأخيها عبد الله، وتصف لؤمهما الذي سبب له اغترابًا بشعًا بالرغم من أنها تعيش في كنف أبيها.

تقول والدة هياء عن أبيها: «أقبل على لولوة وجلس بجانبها، وتلفت يمنة ويسرة، ثم سرق قبلة من خدها، صدمت من الوقف، ولأول مرة أرى والدي يتخلى عن وقاره، بدت الحياة أمامي ضبابية...!

(١) رواية "هياء"، ص ١٦١.

ثم سمعتها تتحدث مع والدي بدلال، وتطلب أن يبني لها مجلس قهوة لاستقبال النساء.

قال لها والدي: أبشري.

قالت بشرط: أن يبنيه أخي عبد الله.

ولي قصة مع أخيها عبد الله، فهو بنَّاء يعمل في البيوت وزخرفتها، وخالصة المجالس؛ فقد كانت تأخذ أكبر نصيب من الزخرفة بالأشكال المختلفة.

كلف والدي أخاها فعلاً، وبدأ البناء بسرعة، إلا أن نوايا عبد الله لم تكن سليمة، فقد كانت فرصة ليدخل بيتنا كل يوم، ويبدو أن لولو اتفقت مع عبد الله على شيء لم أفهمه في البداية، وكلما حضر عبد الله تتعمد أن تطلب مني أن أحضر لها أي شيء من الخارج من أجل أن أمر أمامه، وعبد الله لم يكن أقل لؤمًا من لولوة، وكلما مررت على عجل يستوقفني محاولاً سؤالي أو الحديث عن أي شيء، وإذا لم أجبه يرفع صوته عاليًا بالهجيني، أو يعترض طريقي محاولاً الإمساك بيدي، فأهرب منه وأنا أبكي، وأذهب إلى حوش النخل، وأختبئ خلف الزرع.

ما المغزى من حياة كلها معاناة؟!

كنت أعذب نفسي بهذا السؤال دائمًا، وأسكب دموعًا غزيرة، وأنا أرتعد خوفًا من كل شيء حولي، أخاف الخديعة والفقد»[١].

فهذا الوصف السردي الذي تدفق على لسان والدة هياء كشف عن اغترابها، وسبب هذا الاغتراب، وتعدد مظاهره، فسبب هذا الاغتراب هو لؤم زوجة أبيها لولو وأخيها عبد الله، وما يمارسانه ضدها من أفعال مشينة تنطوي على مكر وسوء طوية، مع غلفة والدها عما يدبرانه لابنته الصغيرة وتخاذله عن الدفاع عنها، وهي

(١) رواية "هياء"، ص٤٧ .

الضعيفة قليلة الحيلة، ولقد هذا بهياء إلى الشعور بالاغتراب الذي تعددت مظاهره ما بين: الهرب، والبكاء، والاختباء بين أشجار النخل، والمعاناة، وفقدان الثقة في الحياة، والخوف من الخديعة والفقد.

وفي وصف الشيخة تصف القرية وبساطة العيش فيها: «قريتنا عبارة عن مجموعة من البيوت الطينية الصغيرة المتراصة وشبه المتلاصقة، وتفصل بين جدرانها الصغيرة، أزقة ضيقة جدا، وكنا عندما نتزاور تكفينا بعض خطوات لنصل الى الجيران، وكانت القرية كغيرها من القرى محاطة بسور يسمى (سور المحامي)؛ لأنه يحميها من اللصوص والدخلاء، فلم يكن الأمن مستتبًّا تمامًا في تلك الفترة، ولم يكن الدخول إليها أو الخروج منها إلاّ من خلال بوابتين الأولى تسمى بوابة (بوابة الرزق) والثانية (بوابة الشيوخ) كما كانت تزيّن سورها أبراج للمراقبة نسمّيها (المراقيب)، عادة يُبنى المرقاب من الحجارة والطين وعلى شكل دائري يتسع من الأسفل، ويضيق من الأعلى، وبه فتحات وعلى جوانبه أحجار تستخدم كسلالم للصعود والهبوط»[1].

والوصف في هذا النص كاشف عن حالة من الاغتراب يعانيها مجتمع بأكمله، هو مجتمع القرية في تلك الفترة الزمنية المتقدمة، منشؤها فقدان الأمن، الناشئ عن مهاجمة اللصوص للقرية، وأشارت إليه الكاتبة على لسان شيخة؛ حيث قالت: «فلم يكن الأمن مستتبًّا تمامًا في تلك الفترة».

ويأتي الوصف ليُظهر الحالة النفسية للشخصيات المغتربة، كما في حديث هياء وحنينها لوالدتها وفقدها لها، حيث تقول: «لم أصدق يأتي اليوم الذي لا أجدها في ذلك الركن المنزوي من صالة بيتنا شيء! مكان جلوسها المعتاد قريبًا من المطبخ ومن السلم المؤدي للغرف العلوية، فكلما هبطتُ من الأعلى في آخر الليل

(١) رواية "هياء"، ص ١٨.

يتراءى لي نورها، اتعثر لها، فأتوقف لأستمع إليها وهي تهمس بدعوات كالقدر الجميل»[١].

ويظهر الاغتراب في حديث (هياء) لصديقتها (منيرة) وهي تسرد لها تجربة حبها لذلك الشخص الذي خذلها، عبرت بكلمات تقطر ألمًا وحزنًا، ووصفت تلك العلاقة التي جعلتها مكبلة مقيدة غارقة في بحر والأمواج حولها من كل مكان.

تقول: «كنت كالذي يغرق في أبجدية لم يفهمها، وكأنني طفلة مدللة، تتلمس العالم المحجوب عنها، وتكبلها الدهشة، ارتعش قلبي بجناحي طائر جريح يرفرف أملاً في الطيران من جديد، كانت هنالك كلمات ومعان تتراقص في أفقي البعيد ولا أقدر على تحديدها»[٢].

صارحتها منيرة بقولها: «ربما عشقته، لكنه لم يفتح لك ذراعيه، ولم يجهد نفسه في احتوائك، بل حاول كسرك، ربما وإخضاعك كما يفعل معظم الرجال إذا ادركوا تعلُّقنا بهم»[٣].

(١) رواية "هياء": ص ٦

(٢) رواية "هياء"، ص٩٣.

(٣) رواية "هياء"، ص٩٤.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة أمكنني التوصل إلى عدد من النتائج، منها:

- برزت ظاهرة الاغتراب في واقعنا المعاصر بوضوح، نتيجة التناقضات الصارخة، وتعمق المشكلات، وكثرة الصراعات والحروب، وضياع القيم، والضغوط السياسية والاقتصادية؛ مما جعل الإنسان يعيش حالة من الاغتراب الدائم، اغتراب مع ذاته، واغتراب مع العالم المحيط به، ورسخ في داخله شعورًا دائمًا بالضياع والحزن وعدم الانتماء.
- ظاهرة الاغتراب ظاهرة نفسية في المقام الأول؛ ولذلك ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بعلم النفس، ومع هذا اجتاحت العديد من الحقول المعرفية؛ نظرًا لارتباط هذه الظاهرة بالوجود الإنساني وحياة الإنسان وتحركاته في المجتمع، ومن هذه الحقول المعرفية التي غزتها ظاهرة الاغتراب: الفلسفة والأدب والاقتصاد وعلم الاجتماع... إلخ.
- سجلت ظاهرة الاغتراب حضورًا واسعًا في أعمال الروائيين العرب، فالمطالع لحركة الإبداع الروائي منذ نشأته في عالمنا العربي يسترعي نظره هذا الحضور المتعاظم للظاهرة من مرحلة إلى مرحلة، فكلما تقدم الزمان وتطور العصر وتغيرت الظروف كلما زاد بروزها حدة في الأعمال الروائية.
- رصد الفن الروائي السعودي ما طرأ من التحولات والتطورات الواسعة على المجتمع السعودي؛ في محاولة منه لمعالجة القضايا التي تتصل بالمجتمع، ومنها الشعور الذي اعترى كثيرًا من أبناء المجتمع بالاغتراب.
- الاغتراب في اللغة يدور حول معاني: الارتحال وترك الوطن إلى بلد آخر، والانزواء والاختفاء، والابتعاد المكاني بشكل كبير، والابتعاد عن الأهل وذوي القربى، والشعور بالغربة. ومن خلال هذه المعاني اللغوية ظهر أن الاغتراب يقع بإرادة المغترب، ومن دون إرادته، أي: يجبر عليه.

- المعاني اللغوية للاغتراب وثيقة الصلة بمفهوم الاغتراب بوصفه مصطلحًا حديثًا استقر في الدراسات النفسية والاجتماعية والأدبية.
- والاغتراب نوعان: الأول- الاغتراب الذاتي، الناشئ عن عدم تواؤم الإنسان مع نفسه، والثاني- الاغتراب المجتمعي، وهذا الاغتراب إما مادي بأن يفارق الإنسان وطنه إلى وطن آخرين، وإما معنوي، ناشئ عن نفور الشخص من أخلاقيات أفراد هذه المجتمع وسلوكياتهم، أو معاناته من الضغوط السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية والثقافية.
- سجلت ظاهرة الاغتراب وبواعثها ومظاهرها حضورًا واسعًا في رواية هياء للدكتورة زينب الخضيري، فنلمس هذا الحضور قبل الدخول إلى عالم الرواية، نلمسه بمجرد مطالعة عتبات الرواية.
- حاصرت ظاهرة الاغتراب رواية هياء، فعالم الرواية من داخله أكد وبشكل صارخ سيطرة حالة الاغتراب على الرواية، فبدا الاغتراب في جنباتها ومكوناتها وآليات تشكيلها؛ في سرد أحداثها، في شخصياتها، في الزمان، في المكان، في اللغة بتقنياتها المختلفة: الوصف والحوار، وهكذا. ومتتبع أحداث الرواية يرصد مظاهر متعددة للاغتراب انعكست فيها، برزت من خلال سرد هذه الأحداث.
- انعكست ظاهرة الاغتراب في الشخصيات بجميع أبعادها النفسية والاجتماعية والمادية؛ فظهرت الحالة النفسية للشخصية من خلال المواقف المحيطة بها وكيف أثر الاغتراب على الشخصية من خلال تلك المواقف.
- تلون المكان والزمان بمظاهر الاغتراب في الرواية.
- كشف الحوار في الرواية عن الاغتراب الذي تعانيه شخصياتها، وأسبابه، ومظاهره، كما عكس الحوار الصراع الداخلي الذي يعتمل في نفس الشخصية، وأظهرت عما بداخلها من مشاعر متناقضة. كما كشف الوصف السردي عن الاغتراب النفسي واغتراب الشخصيات والمجتمعات.

المصادر والمراجع

أحمد خيري حافظ: سيكولوجية الاغتراب لدى طلاب الجامعة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، رسالة دكتوراة، القاهرة، مصر.

أحمد شريبط: تطور البيئة الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨

آمنة يوسف: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، لبنان ط٢، ٢٠١٥م.

باشلار، غاستون، جماليات المكان، ت: غالبا هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٩٨٤م،

الرازي: مختار الصحاح، دار الهدى، عين ميله، الجزائر، ط ٤، ١٩٩٠م.

زينب الخضيري: هياء، دار ورقاء للنشر والتوزيع، الدمام، ١٤٤٣هـ-٢٠٢١م.

سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للنشر والطباعة، بيروت ط،١، ١٩٨٥

عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، شعبان ١٩٩٠.

عبده بدوي: الغربة والاغتراب والشعر دار قباء الطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٨م.

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، دال ط، ج٤.

فراس أحمد شواخ: البناء الفني، الرواية الامارتية «رواية من أي شيء حلفت» للروائية: ميثاء المهيري نموذجًا، جامعة النيلين، رسالة ماجستير، السودان، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م

ليلى سعودي: بنية الشخصية في رواية الأجنحة المتكسرة جبران خليل جبران، أنموذجا، رسالة ماجستير، كلية الأدب واللغات قسم اللغة والأدب العربي بجامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر،٢٠١٧.

مجدي وهبه: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، الثانية.

محمد الهادي بوطارن: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د. ط، ٢٠١٠م.

ابن منظور: لسان العرب، مج ١١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.